**قسم الفلسفة السنة الدراسية 2023-2024**

**ماستر 1 فلسفة غربية حديثة و معاصرة**

**المقياس: الفكر الجزائري1**

**الأستاذة: شريقي انيسة**

**المحاضرة الثانية**

**يوبا الثاني**

تاريحنا برهان وجودنا في القرون الخالية ومرآة حياتنا في سالف الأيام، والدعوة إلى إحياء هذا التاريخ لا يجوز أن تكون دعوة عابرة لا تشغل البال إلا ساعة من زمان، بل يجب أن يكون لها صدى كبير في جميع الأوساط من شرائح الامة من علماء اجتماع فلاسفة ومؤرخين وطلاب يجدون للتحصيل، وقراء يرغبون في توسيع آفاق ثقافتهم ومعارفهم، خصوصا وأن هذه المعارف ذات صلة مباشرة بماضيهم وحياة شعبهم عبر العصور وآفاق مستقبلهم والمتأمل للتاريخ يرى فعلا بأن هناك بعض المؤرخين من أمثال ( عبد الرحمان ابن خلدون – الإدريسي – وابن قتيبة وغيرهم) قد أظهروا فعلا براعة كبيرة في توضيح تاريخ شمال إفريقيا، بل وإفريقيا برمتها من مكوناتها الإجتماعية وعاداتها وتقاليدها وبدوها وحضرها، كمار ركز أيضا المؤرخون الغربيون على تاريخ إفريقيا خاصة بلدان شمال إفريقيا أو ما يعرف ببلدان المغرب العربي والتي تظم بطبيعة الحال (الجزائر- تونس – ليبيا - المغرب). فها هو على سبيل المثال لا الحصر "يوبا الثاني" ابن يوبا الأول والذي ولد حوالي سنة 52 ق.م حيث احتضنه الإمبراطور الروماني بوليوس قيصر في قصره بروما فنشأ نشأة رومانية وتلقى مختلف العلوم والآداب ناهيك عن إتقانه عدة لغات أجنبية .

لقد كان "يوبا الثاني" حاكما أمازيغيا متميزا بنبوغه في التاريخ المغربي القديم ليس كقائد ورجل سياسي فقط، بل وأيضا بإسهاماته الفكرية والثقافية، وإنجازاته المتنوعة في مختلف الميادين والأصعدة والمستويات وحتى وإن كان التاريخ قديما حاولنا بالإعتماد على بعض المراجع والمصادر القليلة جدا والتي اعتمدنا عليها في انجاز هذه المحاضرة على غرار: كتاب محمد شفيق، لمحة عن ثلاثة ولاثين قرنا من تاريخ الأمازيغيين" والعربي اكنينح في كتابه " في المسألة الأمازيغية"، عباس الجراري " الأدب المغربي من خلال ظواهره وقضاياه، ومحمد بوكبوط في كتاب الممالك الأمازيغية في مواجهة التحديات تقديم صورة جلية عن هذا الحاكم الأمازيغي .

إن معرفة " يوبا الثاني" معرفة حقيقية تقتضي منا العودى إلى مآثره المختلفة والمتعددة خاصة ما تعلق منها بمنجزاته الفكرية، إذ يعتبر إلى يومنا هذا من كبار السياسيين والعلماء والمثقفين الأمازيغ الذين عرفوا عند اليونان والرومان والمثقفين اللاتين بسعة المعرفة، والتبخر الموسوعي، حيث كان يمتاز بكثرة العلم والإطلاع. ولنعد إلى مختلف النواحي التي تشهد له بذلك. فمن الناحية السياسية قام (يوبا الثاني) بـ " تزيين شرشال بالتماثيل العظيمة الدالة على فخامته وعظمة ملكه الذي أدراه على النمط اليوناني والروماني من حيث الأبهة والفخر وشيد قصورا وعابد ومسارح متسعة وأمر بتشييد التماثيل في جميع أنحاء مملكته وبقي العدد العديد منها محتفظا به بشرشال والجزائر وبجاية وغيرها وتعد من أثمن الآثار الموجودة الآن"

أما عن الجانب العلمي له فإنه يمككنا القول أنه لم تصلنا للاسف الشديد من مؤلفاته إلا القليل وهذا يعود إلى ضياعها نتيجة الحروب التي شهدتها فترة بطليموس وأيديمون مع القوات الرومانية إبان كاليغولا. " ونعتقد أن السبب الرئيسي في فقدان الإرث التاريخي المكتوب في المغرب في عهد يوبا الثاني يعود أساسا إلى الحروب التي شهدتها المنطقة وخاصة المواجهات مع الرومان في أعقاب إقدام الإمبراطور الروماني كاليكولا على اغتيال الملك الكغربي بطليموس وانحلال الحكم المركزي بكل ما حمله ذلك من تدهور وضعية مدن رئيسية، مثل: وليلي، ودخول المغرب في تشرذم لم يساعد على إقامة حياة عمرانية مستقرة، نوفر الظروف لحفظ الإرث المكتوب، ومن ضمنه إرث يوبا الثاني وآخرين، ربما قد يكونوا قد وجدوا، ولم تصل أخبارهم."

ولعل هذا الذي أدى إلى أننا لا نعرف حسب بعض المؤرخين من مؤلفات يوبا الثاني سوى تسعة عناوين، ولا شك أنه نشر كثيرا غيرها كلها باللغة الإغريقية، بقيت لنا منها مقتطفات كثيرة بفضل الإستشهادات المروية عنه بنصها إلى حد ما، والمبعثرة في كتب مختلف المؤلفين مثل، بلين، وبلوتراك، وأثيني، وغيرهم.

ومن أهم هذه الكتب التي ألفها " يوبا الثاني" نذكر: ليبيكا، وأرابيكا وموسوعة الموسيقى الضخمة، وكتاب تاريخ روما، والآثار الرومانية، وكتاب الأشباه (15 جزءا) ومختصر الآشوريين (جزءان)، ورسالة صغيرة عن نبات أفورب، وكتاب عن فن الرسم أو الرسامين (ثمانية أجزاء)، وتاريخ المسرح وغيرها من الكتب والرسائل والمخطوطات الضائعة .

وحسب ما أشار إليه شارل أندري جوليان في كتابه (تاريخ شمال إفريقيا) قثد كان "يوبا الثاني" ، " يحسن اليونانية واللاتنية والبونيقية، وكان في تألفيه آخذا من كل شيء بطرف، فلم يبق علم واحد غريبا عنه، وكان في إمكانه أن يكتب في كل موضوع بفضل مكتبته الثرية ونساخه الذين لا يعرفون التعب، غير أن تأليفه لم تبق بعده، ولعله من المؤسف أن يكون كتاب ليبيكا قد ضاع، إذ ربما وجدنا في كتاباته عرضا لبعض المعلومات عن التقاليد المحلية.

علاوة على ذلك أنشا " يوبا الثاني" خزانات ضخمة في المدن التي كان يشرف عليها، خاصة مكتبات قصوره، وقد جمع فيها أنواعا من الكتب والمخطوطات القيمة والدراسات النفيسة، خاصة المخطوطات والكتب اليونانية والمصرية واللاتينية والفينيقية التي توجد في مكتبة قرطاج، والتي ورثها عن جده الأكبر همبسال.

كما حافظ على نسخة أصلية من رحلة حانون وربما يكون قد ترجمتها بنفسه إلى اليونانية، ويعني هذا أنه جمع كل مخطوطات مكتبات قرطاج الزاخرة بمختلف المؤلفات والكتب القيمة في مختلف مناحي الحياة والفكر والعلم، وفي هذا الإطار، يقول " ستيفان أكَصيل" :

" وكان لا بد له، لإنجاز بحوثه وكتاباته، من خزانة حسنة ومن عدد كبير من الناسخين والملخصين، وربما حتى من المساعدين الذين لهم منزلة أعلى وكانت ثروته الملكية تجد في هذه المصاريف مساغا كريما، واشتهر عنه أنه كان يؤدي الثمن بسخاء، فكان المحتالون يستفيدون منه دون حياء وقد باع له ذات يوم بعض المحتالين مخطوطا عولج بلباقة اكتسبه مظهرا محترما وقالوا عنه أنه لفيتاغورس ، ولا شك أن الملفات الإغريقية التي لا بد أنها تكون القسم الأكبر من خزانته، قد كانت مصحوبة بعدد كبير من المخطوطات اللاتنية" .

كما استقطب " يوبا الثاني" نحو عاصمته شرشال ووليلي، كبار الأدباء والفنانين والنحاتين والعلماء والأطباء من قرطاجنة واليونان وإيطاليا.

هنا لا بد من الإشارة إلى أن قرطاجة، فشرشال هي الموقع الذي أعطى أكثر النقوش الإغريقية بشمال إفريقيا وأكثرها راجع للعهد الروماني، وغيرها لا يمكن التأريخ له. ولكن اثنتين منها على الأقل قد وقع نقشهما قبل استيلاء الإمبراطورية... فقد كان يوبا الثاني بفضل إحاطة نفسه برجال من هليني: كالطبيب أوفرب والممثل ليونتيوس... وسكراتين يساعدونه في تهيئة كتاباته، ومهندسين ومثالين وفنانين آخرين وقع استدعاؤهم للعمل في العمارات التي كان يزين بها عاصمته.

ويعني هذا أن يوبا الثاني قد جمع حوله كثيرا من العلماء والنساخين والأدباء والمبدعين والعلماء والمهندسين ... وكان يغدق عليهم الاموال والهبات والمكافآت تشجيعا لهم وتحفيزا لهم وتقديرا وتنويها وتكريما.

أما معماريا فقد كان له دور بالغ الأهمية إذ نجده متعلقا بفن العمارة حيث كان مولعا بالعمارة الجميلة وزخارفها الفسيفسائية الباهرة، كما كان ميالا إلى الفنون الهندسية ووضع التصاميم العمرانية الفنية الدقيقة، وتعد مدينة شرشال آية في الفن العمراني الجميل، وقد سماه بالقيصيرية (cesarea) على غرار اسم القيصر اعترافا له بالجميل والثناء والعميم. و" جلب لعاصمته (شرشال) مختلف الفنانين من مصر واليونان، فشيدوا فيها من القصور الجميلة والهياكل الفخمة، ما جعلها بحق محط أنظار الملوك والأمراء، كما جلب لها عددا من الكتاب والشعراء والفلاسفة".

لكن هناك سؤالا وجيها ما زال يراود العديد من المؤرخين، وهو:

لماذا لم يتم العثور على كتبه كلها مقارنة بالعديد من المؤلفات الرديئة أكانت في المجال العلمي أو التاريخي، والتي كتبها الرومانيون و الإغريقيون؟

الجواب متمثل في استقراء التاريخ ذاته ذلك أنه طبيعة المستبد أو المستعمر يعمل دائما ودون هوادة على القضاء على هوية المجتمع المحتل، ولنا في الإستعمار الفرنسي لبلادنا الجزائر الحبيبة مثالا قاطعا على ذلك. وعليه فقد كان هدف الإستعمار الروماني طمس كل آثار يوبا الثاني، ومن ثمة طمس ثقافته وهويته .

ونافلة القول، " يوبا الثاني" شخصية موسوعية بارزة في تاريخ المغرب القديم بصفة خاصة، وتاريخ تامازغا بصفة عامة، حيث اعتمد على المقاربة الثقافية في مقاومتها للرومان، واستطاع أن يقدم الكثير الكثير لشعبه العزيز عليه على الرغم من الضغوطات الرومانية والمضايقات التي كانت تحد من اندفاعه السريع وتفرض عليه سياسة الحكمة والتروي والتدبير الناجع.

كما اعتقد هذا الملك الأمازيغي المثقف على سياسة الإنفتاح والتسامح والتبادل الثقافي، ومعرفة قدراته العسكرية جيدا، والإحتراس من المغامرات المتهورة التي قد تقود شعبه إلى الهلاك، لذلك كان يهادن الرومان ويعرف من أين تؤكل الكتف ويستعمل جميع الوسائل الدبلوماسية لتفادي الحروب والثورات و الإنشقاقات، لذا استمر في حكمه مدة طويلة تقدر بنصف قرن، بسبب رجاحة رأيه، وصحة رؤيته وموضوعية بصيرته.